التودد

في الحكمة الإسلامية

رواء محمود حسين

شبكة الألوكة
www.alukah.net

التودد

في الحكمة الإسلامية

تأليف

رواء محمود حسين

التودد في الحكمة الإسلامية

تأليف:

رواء محمود حسين

الإهداء

إلى المؤمنين المتوادين المتحابين في الله

أهدي هذه الكلمات الودودة

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}، [آل عمران: 102].

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا }، [النساء: 1].

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا }، [الاحزاب: 70 – 71].

أما بعد[1]:

[1] تنظر خطبة الحاجة عند: النسائي: "المجتبى من السنن"، المسمى ب (سنن النسائي)، بيت الافكار الدولية، الاردن، بدون تاريخ، باب: كيفية الخطبة، حديث (1404)، [فيه] أبو عبيدة لم يسمع من أبيه شيئاً، ص 165، البيهقي (المتوفى: 458هـ): "السنن الكبرى"، دار المعرفة، بيروت، 1413 هـ، 7/ 164، غير مرفوع، أبو داود سليمان بن الاشعث السجستاني: "سنن أبي داود"، تحقيق عزت عبيد الدعاس، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1389 هـ، (2118)، سكت عنه [وقد قال في رسالته لأهل مكة كل ما سكت عنه فهو صالح]،الاصبهاني: "حلية الأولياء"، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1423 هـ، 208/7، (تفرد به عفان عن شعبة)، النووي: "الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار"، ط1، مكتبة المؤيد،

كم من المهم أن تكون محبوباً ممن حولك؟

من والديك

من مشايخك وأساتذتك

من عائلتك

من أولادك

من أصدقائك

من الناس حولك

كم هو مهم أن يكون الإنسان محبوباً ممن حوله فتقوى أواصر الإخوة والمحبة وتزول أسباب العداوة والكراهية.

وأن يفعل كل ذلك من قلبه خالصاً لله سبحانه وتعالى.

الحكمة الإسلامية (ممثلة بالقران والسنة النبوية) تقدم لك كنزاً من كنوزها والتي تحقق لك هذه الغاية، إنها (التودد).

في هذا البحث نحاول استكشاف هذا الكنز الوارد في الحكمة الإسلامية، فإلى ذلك، إن شاء الله.

1408 هـ، ص355، إسناده صحيح، الالباني: "ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم"، ط1، المكتب الاسلامي، بيروت، 1400 هـ، ص 255، (الحديث صحيح)، الألباني: "خطبة الحاجة: التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمها أصحابه"، ط1، 1421 – 2000 م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ص 3.

رواء محمود حسين

9/ شوال / 1445 هـ

19/ 4/ 2024 م

التودد في اللغة والاصطلاح

التودد: "طلب مودة الأكفاء بما يوجب ذلك". [2]

والودود ، كما ورد في كتب اللغة: "الودود في أسماء الله عز وجل، المحب لعباده، من قولك وددت الرجل أوده وداً ووداداً". قال ابن الأثير: "الودود في أسماء الله تعالى، فعول بمعنى مفعول، من الود المحبة. يقال: وددت الرجل إذا أحببته، فالله تعالى مودود أي محبوب في قلوب أوليائه؛ قال: أو هو فعول بمعنى فاعل أي يحب عباده الصالحين بمعنى يرضى عنهم". [3]

[2] علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ): "كتاب التعريفات"،المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى 1403هـ –1983م، ص 71. زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ): "التوقيف على مهمات التعاريف"، الناشر: عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت–القاهرة، الطبعة: الأولى، 1410هـ–1990م، ص 112.

[3] محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ): "لسان العرب"، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1414 هـ، 3/ 454. وانظر: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ): "تهذيب اللغة"، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م، 14/ 166.

الودود سبحانه

{وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ} ﴿البروج: ١٤﴾: قال ابن عباس: "التودد إلى أوليائه بالمغفرة" . [4]

وقال سهل رحمه الله: "الودود المحب الى عباده بإسباغ النعم عليهم ودوام العافي". [5]

{وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ} أي بالغ المغفرة لذنوب عباده المؤمنين لا يفضحهم بها، بالغ المحبة للمطيعين من أوليائه، قال مجاهد الواد لأوليائه فهو فعول بمعنى فاعل. قال ويجوز أن يكون فعولاً بمعنى فاعل أي يكون محباً لهم، قال وكلتا الصفتين مدح لأنه جل ذكره إن أحب عباده المطيعين فهو فضل منه، وإن أحبه عباده العارفون فلما تقرر عندهم من كريم إحسانه، وقال ابن زيد معنى الودود الرحيم، وحكى المبرد عن إسماعيل القاضي أن الودود هو الذي لا ولد له، وقيل الودود بمعنى المودود أي يوده عباده الصالحون ويحبونه كذا قال الأزهري. قال ابن عباس: الودود الحبيب. [6]

---

[4] أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: 427هـ): "الكشف والبيان عن تفسير القرآن"، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى 1422، هـ – 2002 م، 10/ 175.

[5] إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي , المولى أبو الفداء (المتوفى: 1127هـ): "روح البيان"،الناشر: دار الفكر – بيروت، 10/ 393.

[6] أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: 1307هـ): "فتحُ البيان في مقاصد القرآن"،عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، عام النشر: 1412 هـ – 1992 م، 15/ 169.

وَأخرج ابْن الْمُنْذر عَن ابْن جريج فِي قَوْله: {إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾} قَالَ: هَهُنَا الْقسم {إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾} قَالَ: يبدئ الْخلق ثمَّ يُعِيدهُ {وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾} قَالَ: يود على طَاعَته من أطاعه.[7]

[7] عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ): "الدر المنثور"، الناشر: دار الفكر – بيروت، 8/ 471.

التودد في القران الحكيم والسنة النبوية

قال تعالى: {إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ} أي "إلّا أن تودوني لقرابتي منكم". [8]

وقال الحسن وغيره: معنى الآية إلا التودد إلى الله عز وجل والتقرب بطاعته، وقال الحسين بن الفضل، ورواه ابن جرير عن الضحاك أن هذه الآية منسوخة، قال البغوي: وهذا قول غير مرضي، لأن مودة النبي صلى الله عليه وسلم وكف الأذى عنه، ومودة أقاربه والتقرب إلى الله بالطاعة والعمل الصالح، من فرائض الدين. [9]

وقال الطبراني: قال الطبراني: احدَّثنا عليُّ بنُ عبدِالعزيزِ، قال: ثنا عارمٌ أبو النعمانِ ، ثنا حمادُ بنُ زيدٍ، عن مُجالدٍ، عن الشعبيِّ، عن النعمانِ بنِ بَشيرٍ، قال: سمعتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يقولُ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ- مَثَلُ تَوَادِّهِمْ وَتَحَابِّهِمْ- مَثَلُ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى تَدَاعَى سَائِرُهُ بِالْحُمَّى والأَوْصَابِ ." [10]

---

[8] محمود بن أبى الحسن بن الحسين النيسابوري أبو القاسم، نجم الدين (المتوفى: نحو 550هـ): "إيجاز البيان عن معاني القرآن"، المحقق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى - 1415 هـ، 2/ 734.

[9] أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: 1307هـ): "فتحُ البيان في مقاصد القرآن"،عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنَشْر، صَيدَا - بَيروت، عام النشر: 1412 هـ - 1992 م، 12/ 297.

[10] سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ): "المُعْجَمُ الكَبِير للطبراني قِطْعَةٌ مِنَ المُجَلَّدِ الحَادِي والعِشْرِينَ (يَتَضَمَّنُ جُزْءًا مِنْ مُسْنَدِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ)"،تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية: د/ سعد بن عبد الله الحميد و د/ خالد بن عبد الرحمن الجريسي، الطبعة: الأولى: 1427هـ - 2006 م، 21/ 56.

"رأس العقل بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس، وأهل التودد في الدنيا لهم درجة في الجنة، ومن كانت له في الجنة درجة فهو في الجنة، ونصف العلم حسن المسألة، والاقتصاد في المعيشة نصف العيش، يبقي نصف النفقة، وركعتان من رجل ورع أفضل من ألف ركعة من مخلط، وما تم دين إنسان قط حتى يتم عقله والدعاء يرد الأمر، وصدقة السر تطفئ غضب الرب، وصدقة العلانية تقي ميتة السوء، وصنائع المعروف إلى الناس تقي صاحبها مصارع السوء: الآفات والهلكات وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة والمعروف ينقطع فيما بين الناس ولا ينقطع فيما بين الله وبين من افتعله". رواه الشيرازي في الألقاب عن أنس.

(رأس العقل بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس) قالوا معنى التودد في هذه الأحاديث الإتيان بالأفعال التي تودك الناس ويحبونه بالإتيان بها. [11]

وكما يرشد إليه حديث "وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس" لكن يقصد بذلك أنه امتثال لأمر الله تعالى وبكونه أمره بذلك وبكونهم عباده ولا طلبا لمكافئتهم فإذا انقطع لله أحبه الناس. (وأهل التودد في الدنيا لهم درجة في الجنة) أي منزلة رفيعة. (ومن كانت له في الجنة درجة فهو في الجنة) قال الماوردي: "التودد يعطف القلوب على المحبة ويزيل البغضاء ويكون ذلك بصنوف من البر ويختلف باختلاف الأشخاص والأحوال". (ونصف العلم حسن المسألة) أي حسن الطلب للعلم فإنه إذا أحسن المسألة أقبل عليه العالم للإفادة وألقى عليه ما في سرائره فكأنه حاز نصف العلم من أول الطلب. (والاقتصاد في المعيشة) قصد العيش الاقتصاد التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط. (نصف العيش، يبقي نصف النفقة) تكون سببًا لبقاء نصفها. (وركعتان) نفلاً أو فرضاً. (من رجل ورع أفضل من ألف ركعة من) رجل (مخلط) لا يتوقى الشبهات قال بعض العارفين: "الورع اجتناب ما يفسد أنواع القربات ويكدر صفاء المعاملة وحقيقته توفي كل ما يحذر منه وغايته

[11] محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: 1182هـ): "التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ"، المحقق: د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، الناشر: مكتبة دار السلام، الرياض، الطبعة: الأولى، 1432 هـ - 2011 م، 6/ 199-200، 523.

تدقيق النظر في إظهار الإخلاص من شائبة الشرك الخفي". (وما تم دين إنسان قط حتى يتم عقله) قيل ولذا كان النبي – صلى الله عليه وسلم – إذا وصف له عبادة إنسان سأل عن عقله. (والدعاء يرد الأمر) الذي قضاه الله وأمر به. (وصدقة السر تطفئ غضب الرب) كما سبق مراراً. (وصدقة العلانية تقي ميتة السوء). [12]

(وصنائع المعروف إلى الناس) أي الإحسان إليهم بأنواع الإحسان. (تقي) أي تدفع. (صاحبها مصارع السوء) أي تدفع ذلك وهو جمع مصرع ما يصرع الإنسان فيه وبينها، بالإبدال منها بقوله: (الآفات والهلكات، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة) أي من بذل خيره للناس في الدنيا أتاه الله جزاء معروفة في الآخرة، وقيل: أراد من بذل جاهه لأصحاب الجرائم التي لا تبلغ الحدود فيشفع فيهم شفعه الله في أهل التوحيد في الآخرة (والعرف) بالضم وفي نسخة المعروف (ينقطع فيما بين الناس) أي ينقطع إلينا منهم على فاعله به (ولا ينقطع فيما بين الله وبين من افتعله) لأنه تعالى يكافئه في الدار التي لا ينقطع نعيمها. (الشيرازي في الألقاب (هب) عن أنس) تعقبه مخرجه البيهقي بقوله هذا إسناد ضعيف والحمل فيه على العسكري أو القمي انتهى، أراد بالعسكري الفضل بن يحيى راويه وبالقمي إسماعيل القمي راويه عن يونس بن عبيد عن الحسن عن أنس. [13]

ومن التودد إلى الأقارب واليتامى والمساكين ما ورد في كتاب الله الحكيم، قال سبحانه:

{وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا} ﴿النساء: ٨﴾، يقول الشيخ رشيد رضا في تفسير المنار: "أي إذا حضر قسمة التركة – التي يتركها المورث لورثته، أو قسمة أموال اليتامى عند الرشد أو الوصية – أحد من ذوي القربى

[12] محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: 1182هـ): "التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِعِ الصَّغِيرِ"، 201.

[13] محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: 1182هـ): "التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِعِ الصَّغِيرِ"، 201 – 202.

للوارثين، أو الموصى لهم، ومن اليتامى والمساكين فانفحوهم بشيء من هذا الرزق الذي أصابكم من غير كد ولا كدح، وقولوا لهم قولا حسنا تعرفه النفوس الأبية وتستحسنه ولا تنكره الأذواق السليمة ولا تمجه، والمراد بذوي القرب – الذين يحضرون قسمة الورثة – من لا يرث منهم، وقريب الوارث لا يجب أن يكون وارثا، فالأخ من الأب من ذوي القربى لأخ الميت الشقيق وهو لا يرث، وكذلك العم والخال والعمة والخالة يعدون من ذوي القربى للوارث الذي لا يرثون معه، وقد يسري إلى نفوسهم الحسد فينبغي التودد إليهم، واستمالتهم بإعطائهم شيئا من ذلك الموروث بحسب ما يليق بهم، ولو بصفة الهبة، أو الهدية، أو إعداد طعام لهم يوم القسمة، وذلك من صلة الرحم، وشكر النعم. ووجه إعطاء اليتامى والمساكين ظاهر. [14]

وَأخرج الديلمي عَن أنس رَضِي الله عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: "التَّدْبِير نصف الْمَعيشَة والتودّد نصف الْعقل والهم نصف الْهَرم وَقلة الْعِيَال أحد اليسارين". وَأخرج أَحْمد فِي الزّهْد عَن يُونُس بن عبيد رَضِي الله عَنهُ قَالَ: كَانَ يُقَال: "التودّد إِلَى النَّاس نصف الْعقل، وَحسن الْمَسْأَلَة نصف الْعلم، والاقتصاد فِي الْمَعيشَة يلقِي عَنْك نصف الْمُؤْنَة". [15]

قال الكلاباذي البخاري الحنفي: حدثنا عبد الله بن محمد بن يعقوب الفقيه الحارثي رحمه الله قال: ح أبو بكر محمد بن تمام بن عيسى قال: ح إسحاق بن محمد بن إسحاق العمي قال: ح يونس بن عبيد، عن الحسن، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رأس العقل بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس» قال الشيخ رحمه الله: التودد: الإتيان بالأحوال التي يودك الناس ويحبونك من أجلها، كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس». فمن زهد فيم في أيديهم، وبذل لهم ما عنده، وتحمل

---

[14] محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: 1354هـ): "تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)"، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: 1990 م، 4/ 324 – 325.

[15] جلال الدين السيوطي: "الدر المنثور"، 5/ 278.

أثقالهم، ولم يكلفهم حملها من نفسه وكف أذاهم عنهم وتحمل أذاهم، وأنصفهم ولم ينصف عنهم، وأعانهم ولم يستعن بهم، ونصرهم ولم ينتصر منهم، فهذه أوصاف العقلاء، أي هذه وأمثالها، فمن أتى بهذه الأوصاف وتخلق بهذه الأخلاق فقد تودد إليهم، فلأنه صلى الله عليه وسلم أشار إلى التخلق بهذه الأخلاق، واكتساب هذه الأفعال، فمن تخلق بها، وعاشر الناس عليها، وعاملهم بها، وده الناس، وأحبوه، وهذه أوصاف العقلاء من الناس، وليس معناه على أنه يريد محبتهم له، وودهم إياه، بل يفعل ما يفعله لله تعالى، ولوجوب حق العباد عليه، لا لمطالبة الود منهم، فإذا فعل العبد ذلك لله تعالى أودع الله وده قلوب المؤمنين؛ لأنه تعالى يوده، فيجعل وده في قلوب عباده المؤمنين، قال الله تعالى {سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾} [مريم: 96] ، قيل: أي في قلوب أوليائه. [16]

وقال البيهقي في "شعب الإيمان": أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى، وأبو عبد الله الحافظ، وحمزة بن عبد العزيز، قالوا: نا أبو عبد الله الصفار، نا أبو علي إسماعيل بن يحيى بن عمرو العسكري العدل بأصبهان، ولقبه سمعان، نا إسحاق بن محمد بن إسحاق العمي، نا أبي، عن يونس بن عبيد، عن الحسن، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " رأس العقل بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس، وأهل التودد في الدنيا لهم درجة في الجنة، ومن كانت له في الجنة درجة فهو في الجنة، ونصف العلم حسن المسألة، والاقتصاد في المعيشة نصف العيش، تكفي نصف النفقة، وركعتان من رجل ورع أفضل من ألف ركعة من مخلط، وما تم دين المسلم قط حتى يتم عقله، والدعاء يرد الأمر، وصدقة السر تطفئ غضب الرب، وصدقة العلانية تقي ميتة السوء، وصنائع المعروف إلى الناس تقي صاحبها مصارع السوء: الآفات

[16] أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (المتوفى: 380هـ): "بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار"، المحقق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل – أحمد فريد المزيدي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، 1420هـ – 1999م، ص 60 – 61.

والمهلكات، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة، والمعروف ينقطع فيما بين الناس، ولا ينقطع فيما بين الله وبين من افتعله " هذا إسناد ضعيف، والحمل فيه على العسكري.[17]

وقال البيهقي في "المدخل إلى السنن الكبرى"، أخبرنا عبد الخالق بن علي المؤذن، أبنا محمد بن أحمد بن خنب، ثنا يحيى بن أبي طالب، ثنا زيد بن الحباب، ثنا مهدي بن ميمون، عن يونس بن عبيد، عن ميمون بن مهران قال: "التودد إلى الناس نصف العقل , وحسن المسألة نصف الفقه, ورفقك في معيشتك يلقي نصف المؤنة". وقد روي هذا من وجه آخر مرفوعا , ورفعه ضعيف , وهو عن ميمون بن مهران معروف. [18]

و (رأس العقل بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس) قالوا: "معنى التودد في هذه الأخبار الإتيان بالأفعال التي تودك الناس ويحبونك لأجلها"، كما يشير إليه خبر "ازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس"، فمن فعل ذلك وده الناس لكن لا يريد بذلك محبتهم له بل يفعله لله، لوجوب حق العباد لا لمطالبة الود منهم وإذا فعله لله أودع الله وده في قلوبهم بوده تعالى له {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾} (وأهل التودد في الدنيا لهم درجة في الجنة) أي منزلة عالية فيها معدة لهم (ومن كانت له في الجنة درجة فهو في الجنة) ولهذا قال علي كرم الله وجهه: "إياكم ومعاداة الرجال فإنهم لا يخلون من ضربين عاقل يمكر بكم أو جاهل يعجل عليكم بما ليس فيكم"، وقال بعض الحكماء: من سمع كلمة فسكت عنها سقط عنه ما بعدها ومن أجاب عنها سمع ما هو أغيظ منها وقال الماوردي: "التودد يعطف القلوب على المحبة، ويزيل البغضاء، ويكون ذلك بصنوف من البر، ويختلف باختلاف الأحوال والأشخاص،

---

[17] أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ): "شعب الإيمان"، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، 1423 هـ - 2003 م، 10/ 405-406.

[18] أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ): "المدخل إلى السنن الكبرى"، المحقق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، الناشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي – الكويت، ص 228-229.

فإن ذلك من سمات الفضل. وشروط التودد فإنه ما أحد يعدم عدواً ولا يفقد حاسداً، وبحسب وفور النعمة تكثر الأعداء والحسدة، ومن أغفل تألف الأعداء ووداهم مع وفور النعمة وظهور الحسد توالي عليه من مكر حليمهم وبادره سفههم ما تصير به النعمة عذاباً، والدعة ملاماً. (ونصف العلم حسن المسألة) أي حسن سؤال الطالب للعلم فإنه إذا أحسن أن يسأله أقبل عليه العالم بشراشره وألقى إليه ما في سرائره فكأنه حاز نصف العلم من أول الطلب وكما أن حسن السؤال محمود في الأمور الدينية. فكذا في الدنيوية. وقيل لابن المهلب في مقام الطلب: "ليس العجب أن تفعل بل العجب أن لا تفعل فاستفهمه حاجته فقضاها". (والاقتصاد في المعيشة نصف العيش يبقي) بضم أوله (نصف النفقة وركعتان من رجل ورع أفضل من ألف ركعة من) رجل (مخلط) لا يتوقى الشبهات ومن ثمة قال إياس بن معاوية: "كل ديانة أسست على غير ورع فهي هباء"، قال بعض العارفين: "والورع اجتناب ما يفسد أنواع القربات، ويكدر صفاء المعاملة، وحقيقته توقي كل ما يحذر منه، وغايته تدقيق النظر في طهارة الإخلاص من شائبة الشرك الخفي". (وما تم دين إنسان قط حتى يتم عقله) ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا وصف له عبادة إنسان سأل عن عقله (والدعاء يرد الأمر) أي يرد القضاء المبرم (وصدقة السر تطفئ غضب الرب) كما سبق توجيهه (وصدقة العلانية تقي ميتة السوء وصنائع المعروف إلى الناس تقي صاحبها مصارع السوء) كما سبق (الآفات) يدل مما قبله أو عطف بيان أو خبر مبتدأ محذوف أي وهي الآفات (والهلكات وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة) أي من بذل معروفه للناس في الدنيا آتاه الله جزاء معروفه في الآخرة وقيل أراد من بذل جاهه لأصحاب الجرائم التي لا تبلغ الحدود فيشفع فيهم شفعه الله في أهل التوحيد في الآخرة ذكره ابن الأثير (والمعروف) وفي نسخة والعرف (ينقطع فيما بين الناس) أي ينقطع الثناء منهم على فاعله به (ولا ينقطع فيما بين

الله وبين من افتعله) وهذه أحاديث عدة مر أكثرها ويجئ منها فتداخلت في هذا الحديث واجتمعت فيه وهي كثيرة الفوائد جليلة العوائد. [19]

ومن التودد أن الرجل يحب الرجل على خير يراه: (وقد كان) أي حبيب (أدركه) أي المقدام (فليخبره أنه (يحبه) لأن في الإخبار بذلك استمالة قلبه واستجلاب زيادة المحبة قال الخطابي معناه الحث على التودد والتألف وذلك أنه إذا أخبره أنه يحبه استمال بذلك قلبه واجتلب به وده وفيه أنه إذا علم أنه محب له وواد له قبل نصيحته ولم يرد عليه قوله. [20]

ولذلك فإن (التودد إلى الناس) التحبب إليهم وتفعل هنا للاتخاذ أي من اتخاذ الفاعل أصل الفعل والمراد اتخاذ المحبة عند الناس باكتساب أسبابها من ملاقاتهم بالبشر والطلاقة وبذل السلام وإطابة الكلام وغير ذلك من أسباب التحبب لأنه مراد الله من عباده وتكررت فيه الأحاديث. [21]

وأن (أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله التودد) أي التحبب (إلى الناس) حبا لله وفي الله كما يشير إليه خبر أفضل الأعمال الحب في الله والبغض فيه ولأنه بذلك تحصل الألفة الجامعة التي تنعطف القلوب عليها ويندفع المكروه بها والألفة تجمع الشمل وتمنع الذل ومن أمثالهم من قل ذل والجمع بينه وبين ما قبله من الأخبار أن المصطفى صلى الله عليه وسلم كان يجيب كل

---

[19] (الشيرازي) بكسر المعجمة وسكون المثناة التحتية نسبة إلى شيراز قصبة فارس ودار الملك بها (في) كتاب (الألقاب هب) من حديث إسماعيل بن يحيى العسكري ولقبه سمعان عن إسحاق العمي عن يونس بن عبيد عن الحسن (عن أنس) ظاهر صنيع المصنف أن مخرجه البيهقي خرجه ساكتا عليه والأمر بخلافه فإنه تعقبه بما نصه: هذا إسناد ضعيف والحمل فيه على العسكري أو العمي اه ورواه الحاكم وأبو نعيم والديلمي ثم قال: وفي الباب علي أمير المؤمنين. ينظر: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ): "فيض القدير شرح الجامع الصغير"، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى، 1356، 3/ 575 – 576.

[20] محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (المتوفى: 1329هـ): "عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته"،الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة: الثانية، 1415 هـ، 14/ 20-21.

[21] محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير: "التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِعِ الصَّغِيرِ"، 2/ 544.

أحد بما يوافقه ويليق به أو بحسب الحال أو الوقت أو السؤال وفيه إيماء إلى أن مخالطة الناس أفضل من العزلة. [22]

[22] زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري: "فيض القدير شرح الجامع الصغير"، 2/ 26.

رسالة أخيرة

يقول الثعالبي: "التودّدُ والإفصاح عن صِدقِ المحبَّ أنا أَودكَ بأجزاء قلبي، وأُحبك من سواءَ نفسي، لا مرحباً بعيشٍ أنفردُ به عنك، ويوم لا أكتحل فيه بك، لا أزال يا سيدي أحِنُ إليك، وأحنو عليك، يا ليت قلبي يتراءى لك فتقرأ فيه سطورَ وُدَي لك، وتقف منها على امتزاجي بك. يعزّ عليّ أن ينوبَ في خدمتك قلمي دون قدمي، وخطي دون خَطوي، ويَسْعَد برؤيتك رَسولي قبلَ وصولي، ويَرِد مشرع الأنس بكَتابي قبل رِكابي، قد مِلتُ إليك فما أعتدل، ونزلتُ عليك فما أرتحل، ووقفتُ عليك فما أنتقل، أنسى الأنام وأذكرك وأطوي العالم وأنشرك، مَسكنُك الشَغافُ، وحبةُ القلب وخِلْب الكبد، وسواد العين، أنا أَعُدّ نفسي بعضَ أخوانِكَ في العدد، وأفوقهم في التودّدِ، أنا والله أجتني قربك، وأجتوي بعُدَك، والله ما تُظل الخضراء ولا تقِل الغبراء، عبداً هو أشد مني لك مُحالفة، وأقل مخالفة، عهدي لك من أكرمِ العهودِ، ووفائي لك وفاء العِرق للعودِ". [23]

أقول أخيراً:

ولذلك ابذل قصارى جهدك في تطبيق هذه الحكمة الإسلامية الواردة في القران الحكيم والسنة النبوية، تودد إلى الناس من حولك بأقصى ما تستطيع، وأزل أسباب الخلاف والشقاق

[23] أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري: "لباب الآداب"، تحقيق: أحمد حسن لبج، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، 1417 هـ – 1997 م، ص42. وللتوسع في التودد انظر: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: 281هـ): "مداراة الناس"،، المحقق: محمد خير رمضان يوسف، الناشر: دار ابن حزم – بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1418هـ – 1998م، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: 281هـ): "الإخوان"،المحقق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1409 – 1988.

والعداوة ما استطعت، واجعل كل ذلك خالصاً لوجه الله تعالى لتفتح لك أبواب الخير في الدنيا والاخرة، إن شاء الله.

قائمة المصادر والمراجع

(مرتبة حسب تسلسلها في البحث)

- النسائي: "المجتبى من السنن"، المسمى ب (سنن النسائي)، بيت الافكار الدولية، الاردن، بدون تاريخ.
- البيهقي (المتوفى: 458هـ): "السنن الكبرى"، دار المعرفة، بيروت، 1413.
- السجستاني، أبو داود سليمان بن الاشعث: "سنن أبي داود"، تحقيق عزت عبيد الدعاس، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1389 هـ.
- الأصبهاني: "حلية الأولياء"، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1423 هـ، 208/7، (تفرد به عفان عن شعبة)، النووي: "الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار"، ط1، مكتبة المؤيد، 1408 هـ.
- الألباني: "ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم"، ط1، المكتب الاسلامي، بيروت، 1400 هـ، ص 255، (الحديث صحيح)، الألباني: "خطبة الحاجة: التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمها أصحابه"، ط1، 1421 – 2000 م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.

- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (المتوفى: 816هـ): "كتاب التعريفات"،المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى 1403هـ –1983م.
- المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم القاهري (المتوفى: 1031هـ): "التوقيف على مهمات التعاريف"، الناشر: عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت–القاهرة، الطبعة: الأولى، 1410هـ–1990م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ): "لسان العرب"، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1414.
- الأزهري، محمد بن أحمد بن الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ): "تهذيب اللغة"، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م.
- الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم ، أبو إسحاق (المتوفى: 427هـ): "الكشف والبيان عن تفسير القرآن"، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى 1422، هـ – 2002 م.
- الإستانبولي، إسماعيل حقي بن مصطفى الحنفي الخلوتي , المولى أبو الفداء (المتوفى: 1127هـ): "روح البيان"،الناشر: دار الفكر – بيروت، 10/ 393.
- القِنَّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري (المتوفى: 1307هـ): "فتحُ البيان في مقاصد القرآن"،عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم

العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، عام النشر: 1412 هـ – 1992 م.

- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: 911هـ): "الدر المنثور"، الناشر: دار الفكر – بيروت.
- النيسابوري، محمود بن أبى الحسن بن الحسين أبو القاسم، نجم الدين (المتوفى: نحو 550هـ): "إيجاز البيان عن معاني القرآن"، المحقق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى – 1415 هـ.
- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم (المتوفى: 360هـ): "المُعْجَمُ الكَبِير للطبراني قِطْعَةٌ مِنَ المُجَلَّدِ الحَادِي والعِشْرِينَ (يَتَضَمَّنُ جُزْءًا مِنْ مُسْنَدِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ)"،تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية: د/ سعد بن عبد الله الحميد و د/ خالد بن عبد الرحمن الجريسي، الطبعة: الأولى: 1427هـ – 2006 م.
- الصنعاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم ، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: 1182هـ): "التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ"، المحقق: د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، الناشر: مكتبة دار السلام، الرياض، الطبعة: الأولى، 1432 هـ – 2011 م.
- محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: 1354هـ): "تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)"، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: 1990 م.
- الكلاباذي، أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب البخاري الحنفي (المتوفى: 380هـ): "بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار"، المحقق: محمد حسن محمد حسن

إسماعيل – أحمد فريد المزيدي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، 1420هـ – 1999م.

- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر (المتوفى: 458هـ): "شعب الإيمان"، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، 1423 هـ – 2003 م.
- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر (المتوفى: 458هـ): "المدخل إلى السنن الكبرى"، المحقق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، الناشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي – الكويت.
- العظيم آبادي، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، (المتوفى: 1329هـ): "عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته"،الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة: الثانية، 1415 هـ.
- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري: "لباب الآداب"، تحقيق: أحمد حسن لبج، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، 1417 هـ – 1997 م.
- أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف (المتوفى: 281هـ): "مداراة الناس"، المحقق: محمد خير رمضان يوسف، الناشر: دار ابن حزم – بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1418هـ – 1998م،

- ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: 281هـ): "الإخوان"،المحقق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1409 – 1988.